Majallah Al-Qism Al-Arabi
University of the Punjab,
Lahore - Pakistan.
Vol. 31, Issue No. 01, 2024

مجلة القسم العربي
جامعة بنجاب، لاهور– باكستان.
المجلد الحادي والثلاثون، العدد01، 2024م.

أثرالصلات بين العرب وأهل شبة القارة الهندية–الباكستانية في نموّ اللغة العربية(دراسة تاريخية)

The impact of relations between Arabs and the people of the Indo-Pak subcontinent upon the development of the Arabic language (a historical study)

د. حافظ مُحَمَّد ألطاف
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية
بجامعة بنجاب، لاهور، باكستان

Abstract

Indian and Arab countries can be called neighbors in a sense, as they are separated by wide, deep seas, but are connected through seashores. Trade relations between India and the Arabs continued for Arab merchants back and forth for thousands of years. They exported goods and products from India to Europe via Syria and Egypt, and imported various products from their countries to India, China, and then to Japan.

As for what was mentioned above about the distance between India and the Arabs due to the seas between them, and what foreign historians from all over the world exaggerated about the differences between them, they are rejected by the

commercial relations between these countries before and after the dawn of Islam. Commercial relations between them continued since ancient times. These ties firmed and then developed through religious affairs and national unity after the Islamic conquests, and their fruits blossomed through the union of religion, affection, sincerity, and love. History witnessed the widespread use of Indian products in the Arabian Peninsula during the era of the Caliphate. This article will discuss the co relation of both regions via historical aspects. Thus, it's a history and description-based article .

Key words: Arab and Indian subcontinent, history of Arabic

المدخل:

إن بلاد الهند والعرب يمكن أن يطلق عليهما بلاد مجاورة بمعنى ما، لكن حال بينهما بحر عميق خضمّ في جانب، وخليج متوسط الحجم من طرف آخر، ولكن ترتبط بعضها ببعض عبر السواحل وشواطئ البحر. فاستمرت العلاقات التجارية بين الهند والعرب للتجار العرب ذهابًا وإيابًا منذ القرون المديدة، فيصدّرون من هنا البضائع والمنتجات إلى أروبا عن طريق الشام ومصر، ويستوردون من هناك منتجات مختلفة إلى الهند والصين ثم إلى يابان.[1]

أما ما ذُكِر من البعد والمسافة بين الهند والعرب بحيلولة البحار بينهما، وما بالغ به المؤرخون الأجانب من الغرابة والنكارة بينهما يرفضهما العلاقات التجارية بين هذه البلاد قبل بزوغ فجر الإسلام وبعده. فاستمرت العلاقات التجارية بينهما منذ زمن قديم، وتأكدت ثم تطورت بالوحدة الدينية والقومية بعد الفتوحات الإسلامية، وأينعت ثمارها باتحاد الدين والعاطفة والإخلاص والحب، وقد شهد التاريخ بشيوع استخدام المنتجات الهندية في جزيرة العرب في عهد

الخلافة الراشدة وحتى قبل الإسلام كما يوجد في أبيات شعرية ذكر منتجات هندية.

كما جاء في بيت طرفة بن العبد

وظُلمُ ذوي القُرْبى أشَدُّ مَضَاضَةً على المرءِ من وَقْعِ الحُسامِ المهنّد [2]

المهنّد معناه السيف المصنوع في الهند[3]

فهذه المقالة العلمية ستركز على التاريخ الإسلامي ودوره في تعزيز الصلات ونموّ اللغة العربيةبين ذويها، وكذلك تسلط الضوء على شيء من التبادل الثقافي بين المجتمعين، لا سيّما على مجتمع شبة القارة الهندية الباكستانية. والمنهج الذي نسلكه هو التاريخى والوصفي. والمهمّ أن المقالة لا تستوعب القرون التاريخية التامة إلى عصرنا الراهن، بل تبحث عن هذه الصلات والتاثير إلى القرن العاشر الهجري.

عهد الرسالة النبويةﷺوالهند

العلاقة التجارية بين الهند والعرب التي تربط هذين الشعبين هذه البلاد منذ القرون أكدها وعقّدها بهذه التقاليد الدينية والإشارات التاريخية. قال بزرك بن شهريار (م404هـ) في كتابه عجائب الهند:

"وكان أهل سرنديب وما والاها لما بلغهم خروج النبي ﷺ، أرسلوا رجلا فهيما منهم، وأمروه أن يسير إليه فيعرف أمره. وما يدعو إليه، فعاقت الرجل عوائق، ووصل إلى المدينة بعد أن قُبض رسول اللهﷺ وتُوُفي أبوبكر ﷺ، ووجد القائم بالأمر عمر بن الخطاب ﷺ فسأله عن أمر النبيﷺ فشرح له وبيّن، ورجع فتوفي الرجل بنواحي بلاد مكران، وكان مع الرجل غلامٌ له هندي، فوصل الغلام إلى سرنديب وشرح لهم الأمر وما وقفا عليه من أمر النبيﷺ وأبي بكر ﷺ، وأنهم

وجدوا صاحب النبيﷺ عمر بن الخطاب ﷺ ووصف لهم تواضعه، وأنه كان يلبس ثيابا مرقعة ويبيت في المساجد."[4]

هذه القصة تعرب عن رغبة أهل الهند في دعوة الإسلام، ويماثل هذه القصة ما أخرجه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﷺ:قال :" أَهْدَى مَلِكُ الْهِنْدِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرَّةً فِيهَا زَنْجَبِيلٌ فَأَطْعَمَ أَصْحَابَهُ قِطْعَةً قِطْعَةً وَأَطْعَمَنِي مِنْهَا قِطْعَةً "[5] فهذا الحديث يدل على علاقة بلادنا بعهد النبوة و يكشف عن الولاء بصاحب النبوةﷺ.

عاشت شعوب وقبائل مختلفة من الهند في الجزيرة العربية و ما والاها زمن عهد النبوة يسمون "الزبوط"، و"السيابجة"، وقد سكن عدد كبير منهم الشواطئ الشرقية للجزيرة العربية وكان لهم علاقات وطيدة مع العرب، وكان لهم معرفة ومخالطة مع رسول اللهﷺ والصحابة ﷺ، كما ورد في رواية عبدالله بن مسعود ﷺ: "إِذْ أَتَانِي رِجَالٌ كَأَنَّهُمُ الزُّطُّ أَشْعَارُهُمْ وَأَجْسَامُهُمْ لاَ أَرَى عَوْرَةً وَلاَ أَرَى قِشْرًا وَيَنْتَهُونَ إِلَيَّ، لاَ يُجَاوِزُونَ الخَطَّ ثُمَّ يَصْدُرُونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[6] شبّه ابن مسعود ﷺ الجن بـ"الزط" القبيلة الهندية، فهذا يشعر بأن أهل مكة والعرب كانوا على معرفة تامة عن هذه القبيلة الهندية، وذلك لأن المشبه به يكون أعرف من المشبه دائما.

وفي السنة العاشرة من الهجرة أقبل خالد إلى رسول الله ﷺ، وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب، فلما قدموا على رسول الله ﷺ فرآهم، قال: من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند، قيل: يا رسول الله، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب.[7]

فهذه الروايات تفصح عن تعارف أهل الهند لدي العرب، وكانوا يسكنون في مناطق بحرين وهجر ودارين وصحار وقطيفة.

الخلافة الراشدة والهند

الخلافة الراشدة التي توالت ثلاثين سنة كانت بدايتها من الربيع الأول سنة 11 الهجرية، وكانت نهايتها على رمضان سنة 40 الهجرية. فكانت الأواصر بين الهند والعرب وطيدة طوال هذه السنين ماخلا العقد الأول، وقيل: إن بلاد مكران فُتحت سنة 23 الهجرية، وأُرسلت الجيوش إلى بلاد الفارس، وقبل هذا قَدِم إلى ثلاث أو أربع أماكن من الهند رجالٌ من العرب المسلمين بين مراقب وجندي ومخبر، ونشأت العلاقات مع أهل الهند فتوجه المسلمون إلى المناطق الشمالية الغربية من الشبه القارة الهندية.

أما بداية العلاقات الرسمية بين العرب والهند فقد كانت في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، ولكن زُرعت بذرتها في عهد أبي بكر الصديق ﷺ، وذلك أنه لما ظهرت فتنة الارتداد بعد وفاة رسول اللهﷺ انضمت القبائل الهندية من الزط والسيابجة إلى المرتدين وساعدوهم بالعَدَد والعُدَد، فكانت هذه بداية غير موفقة في العلاقات بين الهند والعرب.

حرب القادسية الشهيرة التي فتحت أبواب بلاد الفارس للمسلمين كانت سببا لنفوذ العرب في البلاد الشرقية، فتوجهت الجيوش العربية إلى بلاد السند ومكران من ناحية وفتحت بلاد ماوراء النهر وسمرقند وبخارى من أخرى. قال القاضي أطهر المباركفوري معربا عن علاقات متنوعة بين الهند والعرب في عهد الخلافة الفاروقية: "انضمت الشعوب الهندية من الزط والسيابجة إلى العساكر الإسلامية عن طيب القلب ورحابة الصدر مع تكريم العطايا والرواتب، فشاركوا

في فتوحات بلاد العجم وأبلوا بلاء حسنا. وقدم وفد سرنديب إلى المدينة المنورة فالتقوا المسلمين واكتشفوا عن مبادئ العقيدة والعبادة في الإسلام. ثم لما رجعوا أخبروا أهالي سرنديب عن تواضع عمر بن الخطاب ﷺ وعن أحواله، فنشأت في قلوب أهالي هذه البلاد عواطف الولاء ومشاعر المحبة للأسلام والمسلمين، واستمرت آثارها الطيبة إلى عدة قرون. وكان عمر بن الخطاب ﷺ أول من نظر في الغزو الهندي، فأرسل مراقبا للاستخبار عن بلد قندابيل المدينة الرئيسية من بلاد السند، وآنذاك شنت عصابات المجاهدين المتطوعين حملات على ثلاث أماكن من شواطئ من الهند. وفي العهد الفاروقي سنة 21 أو 23 الهجرية لما توجهت العساكر المسلمين إلى البلاد الرئيسية السبع من أرض الفارس وغرزوا قصبات الفتح فكان في جملة المحتلات مكران وبلوشستان وبعض المناطق الهندية المجاورة بسجستان."[8]

كان زمن الخلافة العثمانية لا سيما الوقت من سنة 29 الهجرية إلى سنة 35 الهجرية يعتبر عصرا ذهبيا للفتوحات الهندية، فتحولت المناطق المحتلة من الهند إلى دار الأمن والسلام. وكان فتح السند يُعدّ من امتيازات العهد العثماني. جرت عاصفة التمرد والعصيان في مكران والسند مع بلاد الفارس، واستخبر المراقبون أحوال الهند بعناية تامة ثم أخبروا بها الخليفة الثالث، فقضى ﷺ على حركة التمرد في كرمان وخراسان وسجستان ونصب فيها الولاة الذين شمروا عن ساق الجد في بسط الأمن ونشر السلام. وعند ذاك أرسل الجالية العربية في بلوشستان عشور أموالهم إلى مركز الخلافة وأقاموا إدارة القضاء والعدل. ثارت جماعة من العرب في سجستان في عهد خلافة علي ﷺ فقام رضي الله بقمعهم، ثم كسب الجيش

الإسلامي انتصارات عظيمة في مكران وقنديل والسند، وكان عهد الخلافة العلوية من سنة 36 إلى سنة 40 الهجرية حقبة ناجحة للفتوحات الهندية.

استيطان العرب بلاد الهند

لم يتم العثور على استيطان العرب المناطق الهندية إلى العهد الفاروقي وإن كانت الجيوش الإسلامية ألقت مراسيها في مكران، وقد صار قندابيل معسكرا رسميا لعساكر المسلمين، فكان ذاك لاضطراب الأحوال ولعدم استقرار الأمن آنذاك في بلاد الهند، وما زالت الحاجة ماسة إلى علميات قمع الثور والتمرد مرة بعد مرة.

التابعون رحمهم الله والهند

أما الأواصر بين الهند والعرب في عهد التابعين فهذا الإمام الحسن البصري (المتوفى 110هـ) قد ثبت من خلال أدلة قوية أنه شرّف بلاد الهند بقدومه، ومن أسمى سعادات تربتنا أنها تشرفت بوطئ أقدام هذا التابعي الجليل ثم مكثه في مناطق مختلفة منها حوالي سنتين. إن الحسن البصري أقبل مع عبدالرحمن بن سمرة رحمه الله (المتوفى 42هـ) وأشراف العرب الآخرين وأبلى معهم بلاء حسنا في غزوات مختلفة في سجستان وخراسان، وهذه المناطق المفتوحة تُعدّ مجاورة للهند وكثير منها من بلاد الهند. فقدومه رحمه الله إلى الهند ثابت محقق، وقد اشتهر قوله رحمه الله: "أهبط آدم بالهند وحواء بجدة وإبليس بدستميسان من البصرة على أميال وأهبطت الحية بأصبهان." توفي الحسن البصري رحمه الله سنة 110 الهجرية الموافق لسنة 728 الميلادية. وهناك طائفة كبيرة من التابعين ما عدا الحسن البصري رحمهم الله خارجة عن نطاق الضبط قد ثبت قدومهم إلى الهند.[9]

ظهور اللغة العربية وأهميتها في المجتمع الهندي

قد اتضح من خلال الكلام السابق الأواصر بين الهند والعرب وتخالط الشعبين ومواصلاتهم في القرون الأولى لا سيما الخلافة الراشدة وعهد التابعين، فكان ظهور اللغة العربية في المجتمع الهندي ظاهرة طبيعية نظرا إلى هذه الأمور، وتم ترسيخ اللغة العربية في الهند علي الجهة الرسمية بعد قدوم مُحَمَّد بن القاسم حيث فتح بلاد السند وأقام فيها دولة عربية.

قال الأستاذ الدكتور شمس تبريز خان عن تأسيس الحكم العربي في شبه القارة الهندية: "في عهد الخلافة الراشدة وبداية الحكم الأموي توجهت عصابات عساكر المسلمين إلى المناطق الساحلية الهندية، مما أدى إلى قيام بعض المستوطنات الإسلامية هناك. لكن فَتْحُ مُحَمَّد بن القاسم لبلاد السند سنة 92 الهجرية بداية رسمية لقيام الحكم العربي الذي دام لأكثر من ثلاثين سنة، إلى أن وطئ محمود الغزنوي بلاد السند والبنجاب. فأورث الحكم العربي المستمر طوال القرون الثلاث ازدهارا ثقافيا إسلاميا وتطورا حضاريا عربيا في مناطق بنجاب والسند، وكأنه أساس ولافتة للفتوحات الغزنوية والغورية، أقيمت عليها دعائم وطيدة لتلك الحكومات.

كان تعامل العرب مع أهالي السند وبنجاب تعاملا حذرا معتدلا مثقفا، حتى فتح قلوبهم للإسلام والمسلمين، مما أدى إلى تطور اللغة العربية وأدبها في تلك الأماكن، فكان القرن الثان الهجري عصر ازدهار الفقه والحديث والشعر والأدب، ونشأت بلادُ السند رجالا بذلوا قصارى جهودهم في مجال الإفادة والاستفادة في مراكز العلم لدى أعلام العلماء، ونتيجةً لذلك نرى اليوم عددا كبيرا من بلاد السند في رجال الصحاح الست ورواتها.

من ناحية أخرى صار فتح العرب لبلاد السند نافذة للشعوب الهندية تطلعت بها إلى عقيدة المسلمين وأعمالهم وحضارتهم وثقافتهم واجتماعهم، وأدركوا بها حضارة عالمية جديدة وفكرية ثورية، مما أورث تغييرا جوهريا في أفكارهم وأنظارهم، وأخذت عقيدة التوحيد والرسالة والأخوة والمساواة والتوجيهات الأخلاقية تؤثر رويدا رويدا في قلوب أهالي الهند، إلى أن تركت آثارا عميقة على الحضارة الهندية وساهمت في تكوين تراثها الثقافية والأدبية متنوعة وثمينة.

يعتبر بعض مؤرخي الهند الجُدد الفتوحات العربية صدفة مؤقتة اتباعا لمؤرخين الأوربين، لكن الحقيقة أن الحكومات العربية في السند وملتان وإن تكن واسعة الأطراف وممتدة الجوانب زمانا ومكانا لكنها خلفت آثارا حضارية وثقافية قوية و عميقة. وإنها مهدت الأرض للسطان محمود الغزنوي ومن بعد من الملوك والسلاطين، ولو لم تكن لواجه هؤلاء عقبات ومهلكات في سبيل إقامة دولة إسلامية في الهند، ولتأخر نشر الدعوة الإسلامية والثقافية جدّ تأخير. وما نرى اليوم من أن السند وبنجاب مناطق ذات أغلبية مسلمة منذ البداية، وما نجد في اللغات السندية والبنجابية من الكلمات العربية العديدة، وما نشاهد اليوم من التاثير العربي الإسلامي العميق على ثقافة هذه البلاد فكلها كانت نتيجة سعيدة لسلوك العرب القائم على القيم الإسلامية الخالصة والأقدار الأخلاقية الفاضلة.[10]

اللغة العربية والأدب العربي في الهند: (نظرة عامة إلى القرن السادس عشر الميلادي والقرن العاشر من الهجرة)

لقد كنا بصدد بيان التخالط بين المجتمع الهندي والعربي، لكن إذا لفّتنا أنظارنا إلى أول رجل هندي هو أبوعذرة التصنيف العربي وجدناه في نهاية القرون

المشهود لها بالخير ألا وهو قرن التبع التابعين، فنجد الربيع بن الصبيح البصري من التبع التابعين وهو مدفون اليوم في ربوة "عاليه بيت" على شاطئ النهر "نرمدا" في مديرية "بهروج" من إقليم "كجرات".

يُعتبر الربيع بن الصبيح أول من صنف في العهد الإسلامي[11]، وإن كان هناك اختلاف لكن الرأي السائد أنه هو أول المصنف الأول. وكان أبو معشر السندي صاحب "المغازي" في أوائل العائلات الهندية التي قدمت خدمات بارزة في مجال العلم والتحقيق، ترعرع رحمه الله في المدينة المنورة وتشرف بلقاء العديد من الصحابة ﷺ، وصنف رحمه الله كتابا قيّما في السير والمغازي باسم" المغازي"، وانتقل إلى جوار رحمة الله في بغداد.

وكان مُحَمَّد بن القاسم من أهم أصحاب الأدب العربي في السند (الهند)، قدّم رحمه الله خدمات جليلة في سبيل اللغة العربية وآدابها مع فتحه لهذه البلاد تحت رأية الإسلام، كان شاعرا مُجيدا، و قال هذا الشعر بعد عزله عن القيادة ـه

أضاعوني و أيّ فتًى أضاعُوْا ليومِ كَريهةٍ وسدادِ ثغْر[12]

وورد في أسفار التاريخ اسم أبي عطاء السندي، وقد اعترف بشعره مثل أبي تمام والبحتري من الشعراء العظام وقد أورد بعض أشعاره في كتابه الشهير "ديوان الحماسة". ومنهم ابن الأعرابي سندي الأصل كوفي المولد وتوفي سنة 231 الهجرية، تمكن على أريكة القضاء زمن حكم الخليفة المهدي، وله بضع عشر كتابا من بنات أقلامه.[13]

أ: العهد الغزنوي (366هـ إلى 583هـ الموافق 976م إلى 1187م)

الملك ناصر الدين سبكتكين[14] المؤسس لدولة غزنوية توجه إلى الهند وفتح حصون الثغرية سنة ٣٦٧هـ، وأقام في غزنة على الحدود الهندية عاصمة

ومعسكرا كأنه باب للفتوحات في شبه القارة الهندية. وتمكن بعد وفاته السلطان محمود الغزنوي المحب للعلم والتصوف على أريكة الدولة (388هـ الموافق 998م). اتفق أصحاب التاريخ على أنه عالي الهمة، صاحب الفتوحات، محب للعلم، متخلق بالفضائل والخصائل، لم يوجد له مثيلٌ في رعاية العلم والأدب رغم مهامه الجهادية وفتوحاته العسكرية. فمثل الفردوسي والعنصري والعسجدي والفرخي من أقمار سماء الشعر طلعت ثم أشرقت من بلاط ملكه. وتوالت من سُلالته سلسلة الملوك مثل السلطان مسعود والسلطان مودود بن مسعود والسلطان إبراهيم علاء الدين المسعود وفي الأخير السلطان معز الديب بهرام شاه على سرير الملك، وقدّم كل واحد خدمات جليلة في ميادين العلم والأدب، ودامت سلسلة رعاية الشعر والأدب التي أسسها السلطان محمود الغزنوي إلى نهاية الإمبراطورية الغزنوية، وازدهرت وتطورت في عهد السلطان إبراهيم والسلطان بهرام. قال الشيخ مُحَمَّد أكرم: "قد كانت مدينة لاهور في أوان حكم السلطان إبراهيم الغزنوي مهدا لنشاطات علمية ومركزا للعلوم والآداب."[15]

كان السلطان خسرو ملك بن خسرو شاه (المتوفى 598هـ/ 1201م) آخر ملوك الحكومة الغزنوية، شد السلطان شهاب الدين الغوري وثاقه وأرسله إلى أفغانستان، فقتله ثم قتل نجله بهرام شاه.

من أهم ميزات العهد الغزنوي رعاية اللغة العربية وآدابها وإعلائها كلغة رسمية للدولة، فكان معظم إجراءات المكتب للدولة تتم بلغة عربية خلال عهد السلطان محمود، وفي وزارة خواجة أحمد بن حسن الميمندي قرّرت اللغة العربية كلغة رسمية للأحكام والرسائل السلطانية. وجملة الكلام أنه يسعنا أن نسمي العصر الغزنوي فترة مواتية جدا للغة العربية، ومن أعلام هذا العصر شخصية بارزة

باسم "منوجهري" صاحب علوّ الكعب في الشعر العربي والكتابة. ألقى الأستاذ الدكتور شمس تبريز خان ضوءا على مكانة اللغة العربية خلال الدولة الغزنوية قائلا: "كان محمود السلطان الغزنوي مائلا إلى العربية قلبا وذهنا، فعيّن اللغة العربية كلغة رسمية للمكاتب مكان اللغة الفارسية، وكان بلاطه الملكي مجالا لتشجيع الكتّاب العربيين مثل البيروني والعتبي. وكتب ابن سينا في عهد السلطان محمود أسفاره الجليلة مثل "القانون" و"الشفاء" وغيرهما من الكتب الخالدة على مر الدهور. وكان العهد الغزنوي عصر الربيع للغة العربية وآدابها.

لكن بعد نهاية العصر الغزنوي قرر الغوريون وغيرهم من السلاطين المسلمين اللغة الفارسية لغة رسمية وبلاطية، وأما العربية فكانت تنمو وتزدهر برعاية العلماء والأفاضل."[16]

وإليكم أسماء بعض الكُتّاب الأفاضل في العهد الغزنوي:

- حسن بن حسن الميمندي صاحب "التوقيعات"
- رابعة بنت كعب القزادارية شاعرة عربية
- أبو نصر مُحَمَّد العتبي صاحب "التاريخ اليميني"
- الشيخ إسماعيل اللاهوري خطيب من مقدمة الدعاة الإسلامية
- نصر الله المنشي بن مُحَمَّد بن عبدالحميد شاعر عربي ومترجم لكتاب "كليلة ودمنة" إلى اللغة الفارسية
- أبو العلاء عطاء بن يعقوب المعروف بـ"ناكوك" صاحب ديوان في العربية والفارسية
- مسعود سعد سلمان اللاهوري صاحب دواوين ثلاثة عربية وفارسية وهندية وصاحب الكتاب "الحبسيات"

- البيروني عالم عبقري شيخ الكل في الكل صاحب "كتاب الهند" و"الآثار الباقية عن القرون الخالية" و"القانون المسعودي" و"الجماهر في معرفة الجواهر" و"الصيدلية" وغيرها من الكتب القيمة
- السيد على الهجويري المعروف بـ"داتا كنج بخش" صاحب "كشف المحبوب" و"كشف الأسرار" و"البيان لأهل العيان" وغيرها [17]

ب:عهد الأمبراطورية الدهلوية(603هـ إلى 933/ 1206 إلى 1526)

كانت الإمبراطورية الدهلوية ذات حضارة ورفاهية وساهرة على رعاياها، وقد كانت أقدم من الديموقراطية المعاصرة في بسط العدل واستقرار الأمن، ومجال ترفيهة رعاياها، وفي تطوير الحضارة والثقافة، وفي رعاية العلوم والآداب، والتعاطف والابتعاد عن التعصب، وفي سيادة القيم الدينية والأخلاقية. نظرا إلى الظروف الهندية قررت الإمبراطورية الدهلوية اللغة الفارسية كلغة رسمية، لكن التصنيف والكتابة في اللغة العربية كان مفخرا للعلماء المسلمين، وفي اللغة السنسكريتية واللغات المحلية للأمم الأخرى غير المعتنقين بدين الإسلام. وقد كان للغة العربية أثر كبير وطابع عميق على التراث الأدبي الفارسي في عهد الإمبراطورية الدهلوية. كانت العملات حاملة للكتابة العربية، أما المباني والأضرحة الملكية فقد كتبت عليها الآيات القرآنية والعبارات العربية باهتمام بالغ أبقها إلى اليوم أمامنا كالنقوش الحجرية. وتكتب مقدمات الكتب وخواتيمها باللغة العربية، وكانت الكتب الفارسية تحتوى على كثير من الأشعار والقطعات والأمثال العربية مما يعرب عن أهمية اللغة العربية في التراث الأدبي عهد الأمبراطورية الدهلوية.[18]

قال خليق أحمد النظامي: "ملوك الإمبراطورية الدهلوية وإن كانو مسلمين لكنهم لم يكونوا ممثلين للدين الإسلامي، قد يكون للدين الأسلامي

مكانة ما في حياتهم الانفرادية لكنهم لم يقتبسوا من أنوار الدين المتين في أمور السياسة والمملكة."[19]

استمرت الإمبراطورية الدهلوية إلى ثلاثة قرون من بين العائلات المختلفة، مثل المماليك والخلجيين والتغالقة واللودهيين. قد كان رعاية وتاثير لمشائخ التصوف سائدا على هذه العصور بالمعنى الإجمالي، وكانوا سببا وأساسا في المآثر الحسنة والأعمال البارزة في تلك العصور، مثل خواجه معين الدين الجشتي، وبابا فريد الدين مسعود شكر كنج، وخواجه نظام الدين أولياء، ومخدوم شرف الدين يحيى المنيري رحمهم الله تعالى. فوجه هؤلاء المشائخ السلطان شمس الدين التمش، والسلطان ناصر الدين محمود، والسلطان غياث الدين بلبن، والسلطان فيروز شاه، والسلطان إبراهيم اللودهي إلى أمور الخير والرفاهية، ورعاية العلوم والآداب، وخدمة الرعية وتقوى الله تعالى. ومن جانب آخر تتلمذ على أيديهم علماء بارعون وشعراء عباقرة وكُتّاب مهرة مثل صدر الدين الملتاني، وكمال الدين الزاهد، والعلامة حسن الصغاني، والأمير خسرو، وضياء الدين السنامي، ومولانا أحمد التانيسري، ورفيع الدين الشيرازي. وظهر في هذا العصر الذهبي مكاتب مختلفة للعلم والتصوف مثل سلسة خواجه معين الدين الأجميري، وسلسلة العلم والأدب للشيخ نظام الدين أولياء، ومكتب المخدوم شرف الدين يحيى المنيري. فهؤلاء مثل بحار انشقت منها أنهار وجرت منها جداول تجد تفاصيلها في كتب التاريخ.[20]

النتائج والتوصيات

اطلعنا خلال هذه المقالة على صلات العرب بأهل شبة القارة الهندية الباكستانية، وتعرّفنا على أهم العصور التاريخية وعلاقاتها بين هذه المناطق والبلاد. كما علمنا حلول اللغة العربية واشتداد نبتها في البلاد الهندية، وما تركت هذه

الصلات والدين الإسلامي على أهل هذه البلاد حتى تضلعوا في اللغة العربية، وفاقوا فيها حتى صنفوا كتبا في الأدب واللغة العربية والأدب الإسلامي من التفسير والحديث وشرحه والفقه وأصوله ومن علوم اللغة الأخرى. وذكرنا أسامي معظم هؤلاء.

هناك حاجة ماسة بتعريف كل من هذه الأعلام وأعمالهم العلمية حتى يتعرف العالم العربي والإسلامي بمجهودات علماء هذه المناطق.

يمكن إجراء المقارنة بين أعمال هؤلاء مع أعمال العلماء العرب حتى تبرز ميزات أعمالهم، فيستفاد منها. وأسأل الله العظيم أن يتقبل جهود كل من أدّى دورًا في إحياء اللغة العربية وعلومها في هذه المناطق.

الحواشي والمصادر

1. خواجه بهاؤالدين،أكرمي ندوي المتوفى: 1411هـ، عرب و ديار هند، ناشر: محي الدين منيري–دارالسلام بهٹکل، ص 30

2. طَرَفَة بن العَبْد، ديوان طرفة بن العبد.بتحقيق: مهدي مُحَمَّد ناصر الدين. دار الكتب العلمية،ط: الثالثة1423 هـ - 2002 م. 27/1

3. سيفٌ مُهنَّد وهِنْديٌّ وهُنْدُوانيّ إذا سوي وطُبع بالهنْد. الأزهري، مُحَمَّد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ): تهذيب اللغة.،بتحقيق: مُحَمَّد عوض مرعب، بيروت. دار إحياء التراث العربي،ط: الأولى،
2001 م. 115/6

4: الرامهرمزي، برزك بن شهريار، عجائب الهند، مطبعة السعادة–مصر، ط١، ص ٥٥–٥٨

5: الطهماني، أبو عبد الله الحاكم مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي النيسابوري (المتوفى: 405هـ): المستدرك على الصحيحين.بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، 1411 – 1990 م. 150/4

6: مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ): سنن الترمذي.بتحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998 م.443/4

7: السيرة النبوية لابن هشام، المكتبة العلمية ، بيروت–لبنان، ج٢، ص 593–594

8:مباركفوري، قاضي أطهر، المتوفى: 1417هـ، خلافت راشده اور هندوستان، ندوة المصنفين ، جامع مسجد دہلی، 1391هـ، ص. 52–53

9: ابن كثير، عمادالدين إسمعيل بن عمر،المتوفى 774هـ، البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله محين التركي، مركز الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دارهجر، ط:1418هـ، ج 218/9

10: شمس تبريز خان، عربی ادب میں ہندوستان کا حصہ، نظامی پریس، لکھنؤ، ط:1989م. ص. 70

11. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. بغداد، مكتبة المثنى : 1941م.34/1

12. البلاذري، أبوالحسن أحمد بن يحي بن جابر، المتوفى: 279هـ، دارالكتب العلمية، بيروت–لبنان، ص ٢٦٢

13. الطرازي، مبشر، عبدالله، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب، ط:1403هـ، عالم المعرفة، جدة. ص:70

14. وكان مدة ملكه نحو عشرين سنة، وكان ملكًا عادلاً ، كثير الجهاد، وكانت وفاته سنة سبع وثمانين وثلاث مائة:راجع للتفصيل:(الحسني، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي :الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر): بيروت. دار ابن حزم، لبنان، ط: الأولى، 142هـ،1999م. 61/1)

15. شيخ مُحَمَّد اكرم، آب كوثر، فيروز سنز لاهور، ط:1952م، ص:65

16. شمس تبريز خان، عربی ادب میں ہندوستان کا حصہ: ص :76

17. المصدر السابق: ص 64---96

18. المصدر نفسه: ص 64---96

19. نظامي، خليق أحمد، المتوفى: 1997م، سلاطین دھلی کے مذھبی رجحانات، الجمعیۃ پریس، دھلی، ط1، 1377هـ، ص41

20. اللكنوي، عبدالحي الحسني، الثقافة الإسلامية في الهند، مؤسسة هنداوي، ط:2017م، ص،24 و 46، 47، 106، 169، 180، 262